مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ١٠٥٢ ـ ١٠٦٤
ISSN: 2222-6583

دور اللهجات العربية في بناء القاعدة الصرفية

The role of Arabic dialects in building the morphological base

م.د سنان عبدالستار طه اسعد

معهد الفنون الجميلة للبنات، مديرية تربية بغداد الكرخ الأولى، بغداد، العراق

ملخص

إنّ اختلاف اللهجات العربية يولد اختلافاً في البناء الصرفي والنحوي للجملة العربية، ويمكن القول إنّه لا يكاد يخلو كتاب نحوي أو لغوي قديم من الإشارات اللهجية القديمة التي يستدل بها العلماء على مسائلهم المتنوعة، ويستشفعون بها في إثبات قواعدهم النحوية أو اللغوية أو الصرفية، ويبدو هذا واضحاً لأن حقيقة أي لغة لا يمكن تدوينها إلا على كلام أهلها، ومن هنا نجد أن لتبدل اللهجة دوراً مماً في صياغة القاعدة الصرفية ورصد التحولات في بنية الجملة العربية، وقد كان لها دور مؤثر أيضاً في عملية الصياغة الدلالية، ويهدف البحث إلى الوقوف على دور اللهجات في التقعيد الصرفي من خلال مراقبة أثر تبدل بنية الكلمة في الدلالة، وما ينتج عنه من تحولات نحو اختلاف البنية الصرفية للكلمة، والمنهج الّذي يتبعه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الّذي يقوم على أساس تتبع الظاهرة وجمع المعلومات عنها وتحليلها وتصنيفها واستنباط النتائج منها.

الكلمات المفتاحية: اللهجات العربية، القاعدة الصرفية، بنية الكلمة

Abstract

The difference in Arabic dialects generates a difference in the morphological and grammatical structure of the Arabic sentence, and it can be said that hardly an old grammatical or linguistic book is devoid of ancient dialect references that scholars use to infer their various issues, and use them to prove their grammatical, linguistic, or morphological rules. This seems clear because The reality of any language cannot be written down except in the words of its people, and from here we find that dialect change plays an important role in formulating the morphological rule and monitoring changes in the structure of the Arabic sentence .

The research aims to determine the role of dialects in morphological complexity by observing the effect of changing the structure of the word on its meaning, and the resulting shifts towards a difference in the morphological structure of the word. The method followed by the research is the descriptive and analytical method, which is based on tracking the phenomenon, collecting information about it, analyzing it, and classifying it. and extracting results from them.

Keywords: Arabic dialects, morphological rule, word structure

مقدمة:

لقد لعبت اللهجات العربية دوراً مهماً في البناء النحوي والصرفي في اللغة العربية، وذلك بسبب كون تلك اللهجات تتصل بشكل مباشر في التحول الدلالي للتفسير القرآني، فقد اشتغل الدارسون في مجال التفسير والقراءات على تحديد أنماط تلك اللهجات وبيان ما هو محمود منها من غيره.

ونجد أنّه لا يكاد يخلو كتاب نحوي أو لغوي قديم من الإشارات اللهجية القديمة التي يستدل بها العلماء على مسائلهم المتنوعة، ويستشفعون بها في إثبات قواعدهم النحوية أو اللغوية أو الصرفية، ويبدو هذا واضحاً لأن حقيقة أي لغة لا يمكن تدوينها إلا على كلام أهلها.

ومن هنا نجد أن لتبدل اللهجة دوراً مماً في صياغة القاعدة الصرفية ورصد التحولات في بنية الجملة العربية، وقد كان لها دور مؤثر أيضاً في عملية الصياغة الدلالية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى الوقوف على دور اللهجات في التقعيد الصرفي من خلال مراقبة أثر تبدل بنية الكلمة في الدلالة، وما ينتج عنه من تحولات نحو اختلاف البنية الصرفية للكلمة.

أهمية البحث:

إنّ أهمية البحث تعود إلى أهميّة دور الدراسات اللغوية في مجال القرآن الكريم والتبدل اللهجي في قراءاته ودوره في بناء القاعدة الصرفية من خلال تتبع جهود العلماء في هذا المجال، فقد اعتمد كثير من العلماء على الشواهد القرآنية والدراسات اللهجية المتنوعة في سياق صياغة القاعدة الصرفية.

منهج البحث:

إنّ المنهج الّذي يتبعه البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الّذي يقوم على أساس تتبع الظاهرة وجمع المعلومات عنها وتحليلها وتصنيفها واستنباط النتائج منها.

المبحث الأوّل: مفهوم اللهجات العربية ونشأتها

اللهجة هي عبارة عن الاختلاف في اللغات عند العرب من جوانب متعددة كاختلاف الحركة، وغيرها من الأمور(أحمد بن فارس، ص٤٨) ، وقد أتاحت مجموعة من العوامل للهجة أن يكون لها سيادة ونفوذ عن غيرها من اللهجات الأخرى، وذلك كلهجة قريش التي كانت تتسم بالفصاحة والرقة في لسانها واختيار الكلمات والمفردات والأشعار الحسنة والبليغة في خطابهم مع غيرهم فعدوا بسبب ذلك من أكثر العرب فصاحة(أحمد بن فارس، ص٥٢)

قال ابن نوفل : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وضعت مما سميته عربية !أيدخل فيه كلام العرب كلُّه ؟ فقال : لا ، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال أحمل على الأكثر ، وأسمِّي ما خالفني لغات " (السيوطي، ١٨٤-١٨٥)

وهناك من لا يفصل بين كل من مصطلحات اللغة واللهجة فتكون عنده متشابهة لتصير اللغة أشبه بجسم عضوي يحتوي على قواعد وقوانين ثابتة ويخضع لعملية تطور فطري ولكنها في النهاية تموت بشكل متدرج(م م لويس، ص٢٩٦).

- **نشأة اللهجات:**

إنّ اللهجة بوصفها تحتوي على سمات لغوية تمتاز بانتمائها إلى مجموعة من الأفراد في بيئة محددة ، مما يؤدي إلى وجود اختاف وتمايز على مستويات متنوعة من بينها مستويات الدلالة، والصوت، والتراكيب، وبذلك يتحتم أن يكون لنشأتها بعض من الظروف الزمنية المحددة ، ومن أسباب نشوء اللهجات(فندريس، ١٩٥٠، ص٤٢٧):

- الانتقال من مكان غلى آخر
- التجاور والاختلاط
- الغزو ووجود عناصر غريبة في البلاد

وهي تتمثل في الصراع اللغوي بين كل من اللغة الأصلية ، واللغة الوافدة.

وقلما تنجو اللغات من وقوعها تحت تأثير هذه العوامل ، فالتطور اللغويّ المستمر يكون في معزل عن كل التأثيرات الخارجية وهو يعدّ موضوعاً نادراً لا يتحقق في أية لغة . ولكن في المقابل يكون الأثر الواقع على اللغات المجاورة أثراً يسهم بشكل مباشر في عملية التطور اللغوي(فندريس، ص٣٤٨)

ــ ويشكل انعزال البيئات جغرافياً واجتماعياً بفعل فواصل طبيعية عاملاً مسبباً للاختلاف اللهجيّ بسبب التطور المنعزل لكل بيئة عن الأخرى في ظروف تكاد تكون غير فتتطور كل بيئة في الظروف البيئية والاجتماعية المختلفة عن الظروف المشكلة للبيئة الأخرى ، فتتكون بيئة زراعية هنا ، وبيئة صناعية هناك ، وبيئة رعوية أوتجارية هنالك ، وتختلف الظروف الاجتماعية في كل من هذه البيئات عن البيئة الأخرى تبعاً لذلك (محمد أسعد النادي، ٢٠٠٩، ص١٥٣) .

ليكون كل من الاتصال والانفصال مسبباً من مسببات التنوع ونشوء لهجات مختلفة بعضها عن الآخر.

فانتقال اللغة يفقدها بشكل نوعي عواملها بسبب تأثرها بالعديد من المعطيات المتنوعة التي تختلف عما كان موجوداً في اللغة الأم"(فندريس، ص٣٦٤)

و الاختلاط بين اللغات يعرِّضها ــ كذلك ــ لفقد بعض الخصائص الموجودة فيها ، واكتساب عادات أخرى لم تكن موجودة بالإضافة إلى استعارة بعض الكلمات، والاختلاط اللغوي يعمل على خلق نوع

من أنواع الصراع بين اللغات يجعلها تصارع وجودها أو عدم وجودها في إطار زماني ومكاني محدد وهو يرتبط بقوة اللغة من الناحية الدينيو والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حيث تستحوذ اللغة على غيرها وتنحيها ، أو تقوم بالسيطرة عليها ، وربما أدَّت إلى موتها تماماً (رمضان عبد التواب، ص١٧١).

وأكبر مثال على ذلك طرد اللغة العربية للغات الأصلية في البلاد التي سادت بها ، وافتتحها العرب بعد البعثة المحمدية ، فقد حلن العربية في العراق محل كل من الآرامية والفارسية ، وفي الشام أزاحت الآرامية والسريانية واليونانية ، وفي مصر هُزمت القبطية. (فندريس، ص١١٠)
فاجتماع لغتين على صعيد واحد لا بد من أن يجعل كل واحدة منهما تتأثّر بالأخرى ، فتتغلب إحداهما على الأخرى ، أو تبقيان متجاورتين .(علي عبدا لواحد وافي، ١٩٦٢، ص٢٢٣) فتعمد كل لغة إلى ما تأخذه من الأخرى ، وتضفي عليه حيويتها ، وتقضي على ما فيها من الآثار الهدامة ، وعلى هذا تبقى كل منهما ، وتعيش بجوار أختها ، لها طابعها الخاص ، وشخصيتها القوية.(رمضان عبدالتواب، ص١٧٧) وكما أدّى الاختلاط إلى نشأة لهجات جديدة ، فإنّ الانعزال الجغرافي أو الاجتماعي يؤدي إلى تشعُّب اللغة الواحدة إلى لهجات عدّة ، فعندما تفصل الجبال أو الأنهار أو الصحارى، بين بيئات اللغة الواحدة ، فإنَّ هذه العوامل تؤدّي إلى قلَّة الاحتكاك بين أبناء البيئة اللغوية الواحدة ، أو الانعزال التام بينهم ، فما أن يمر القرن أو القرنان حتى تتطور تطوراً مستقلاً يشعبها إلى لهجات مستقلة ، ويباعد بين صفاتها .(د. هاشم الطعان، ص٢١)

المبحث الثاني: دور اللهجات في التقعيد الصرفي

إنّ تبدل اللهجات قد يؤدي إلى تبدل في بنية الكلمة العربيى، من خلال الاختلافات التي قد تصيب الوزن من جهة أو بنية الكلمة من جهة أخرى.

أولاً: الميزان الصرفي واختلاف اللهجات فيه

غالباً ما نلحظ اختلاف الحركات الثلاث (الضمة / الفتحة/ الكسرة) في حرف معين من الكلمة الواحدة، وذلك نتيجة لاختلاف اللهجات دون ان يحدث اختلافاً في المعنى، ولقد رصد العلماء القدامى هذه الظاهرة ونسب العمل في وضع الحركات الثلاث الى أبي الأسود الدؤلي تـ (٦٩هـ) وثم تبعه الخليل (ت ١٧٥هـ) فوضع الحركات التي هي أبعاض حروف.(رمضان عبدالتواب، ص١١٩).

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ١٠٥٢ ـ ١٠٦٤
ISSN: 2222-6583

ومن هذه الاختلافات ما كان بين حركتي الضم والفتح كما في لفظة (مَيْسَرَة) إذ قال النّحاس إنها (أفصح اللغات وهي لغة نجد، و(مَيْسُرَة) وإن كانت لغة اهل الحجاز فهي من الشواذ لايوجد في كلام العرب مَفْعُلَة إلا حروف معدودة شاذَة)(اعراب القرآن: ١٣٥/١).

ونسب النحّاس لفظة (الحَوْب) إلى بني تميم، والأفصح الحُوَب(اعراب القرآن: ١٩٩/١). وعزا لفظة (الضُّعْف) إلى أهل الحجاز و (الضَّعْف) إلى تميم دون الاختلاف في المعنى(اعراب القرآن: ١٠٤/٢).

ومما ورد ما بين الفتح والكسر لفظة (الحَجّ) وهي لغة أهل الحجاز، على حين أن لغة نجد تقول (الحِجّ) بكسر الحاء على أنه أسم لا مصدر(اعراب القرآن: ٩٨/١).

ومن الألفاظ ما كانت بين الضم والكسر (دُمت) و(دِمت) بكسر الدال من دِمْتَ تَدَام مثل جِفْتَ تَخَافُ وهي لغة أزد السراة(اعراب القرآن: ١٦٦/١).

ثانياً: التشديد والتخفيف

وردت بعض الألفاظ ما بين التشديد والتخفيف في بعض اللهجات، ومن ذلك ما ذكره النّحاس أن لفظة (الهَدْى) تخفف وتشدّد إلى (الهَدِيّ) ونسبها إلى بني تميم(اعراب القرآن: ١٠٠/١).

ومن الألفاظ التي تنسب الى لغة اليمن(اعراب القرآن: ٨٤/٥) لفظ (كِذّاباً) إذ قرئت في قوله تعالى: ((كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً))(سورة النبأ: آية ٢٨) بالتخفيف (كِذابا) والتثقيل (كِذّابا). وتنسب لفظة (عَشْرَة) مخففة إلى لغة الحجاز، و (عشرة) مثقلة الى بني تميم وهذا نادر في لغتهم التي سبيلها التخفيف(اعراب القرآن: ٥٦/١-٥٧).

ثالثاً: القصر والمد:

جاءت الألفاظ مقصورة وممدوة بحسب اللهجات العربية، ومن ذلك لفظة زكريا إذ ذكر النحّاس أن (اهل الحجاز يمدون زكرياء ويقصرونه، وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه، فيقولون: زكريّ)(اعراب القرآن: ١٥٥/١).

وذكر النحّاس نقلاً عن أبي حاتم السجستاني انه قال: (بنو تميم يقولون: هم أولى، مرسلة مقصورة، وأهل الحجاز يقولون: اولاء ممدودة)(اعراب القرآن: ٣٧/٣).

رابعاً: الحذف: ومن وسائل التخفيف حذف احد المثلين في الأسماء والأفعال ومن ذلك حذف الياء الأولى من (يستحيي) في لغة تميم وبكر بن وائل(اعراب القرآن: ٢٩/١).

ونسب النحّاس حذف الفاء من (سوف) في قوله تعالى: ((فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ))(سورة هود: آية ٣٩) الى ناس من اهل الحجاز نقلاً عن الكسائي(اعراب القرآن: ١٦٨/٢).

وجاء الفعل (يأتي) بحذف الياء على لغة هذيل(اعراب القرآن: ١٨٢/٢-١٨٣)، وقد ذكر الدكتور احمد الجندي ان استعمال (هذيل) لهذا الاجتزاء مكانة متميزة في الايجاز والاختصار الذي هو ديدن البلاغة، ومحط انظار البلاغيين، وهي بذلك تخالف لهجة اهل الحجاز التي سكنت بالقرب منها دون التأثر بها لأن الحجازيين يسعون دائماً الى اتمام الصيغ(اعراب القرآن: ١٤٦).

خامساً: كسر حرف المضارعة

ذكر سيبويه أن هذه الظاهرة تسمى بالتلتلة وتنسب إلى بهراء فهم يقولون: تعملون وتفعلون بكسر اوائل الحروف(الكتاب: ١١٠/٤).

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة كسر حرف المضارعة من (نِستعين) وهذه لغة تميم وأسد وقيس وربيعة، والأصل فيه (نَسْتَعون)(اعراب القرآن: ٢٠/١) وكذلك كسر ياء (يحبُّ) وهي لغة بعض قيس على قول الكسائي(اعراب القرآن: ١٥١/١).

وقرأ ابو الأشهب (تَأمَنهُ) من قوله تعالى: ((وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ))(سورة آل عمران: آية ٧٥) (تِيْمَنَهُ) على لغة من قال: تِسْتِعين أي لغة تميم واسد وقيس وربيعة كما ذكرنا(اعراب القرآن: ١٦٦/١).

تأنيث لفظة (الصراط):

على لغة اهل الحجاز(اعراب القرآن: ٢٠/١). وجيء الفعل (فتن) على صيغة (افعل) على لغة نجد اذ يقولون: أفتن الرجل، على حين تقول تميم وربيعة وقيس واسد: فتن الرجل(اعراب القرآن: ٢٣٥/١-٢٣٦).

ومن ذلك اصل الفعل (مُوتق) اذ ذكر النحّاس قول (اهلُ الحجاز: فلان مُوتقٍ وهذا هو الأصل، والتقية اصلها الوقية من وقيت ابدلت من الواو تاء لأنها اقرب الزوائد)(اعراب القرآن: ٢٥/١).

- **تحول بنية الأفعال:**

إن كثيراً من التحولات التي تطرأ على أبنية الكلمات العربية لا يمكن فهمها إلا من خلال استقراء التراث اللغوي، وتتبع الأصول، وتشكل الظاهرة اللهجية عاملاً رئيساً في توصيف هذه التحولات التي

تطرأ عادة على الأصول الثابتة للكلمة ونعني بها (ف ع ل)، وعلى غير هذه الأصول من لواحق الأسماء والأفعال، آخذين بالحسبان أنها "لا تميل إلى التخالف الصوتى لما يترتب عليه من إجهاد عضلات الجهاز الصوتي وأعضاء الكلام؛ ولهذا فهي تؤثر التماثل والانسجام والتناغم بين الأصوات المتجاورة، وتنأى عن الثقل والتنافر.

نقف وجاه قول –الباري عز وجل –﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[سورة الفاتحة، الآية ٥].

قرأ عبيد الليثي وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي (نعبد)، بكسر النون، وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وهذيل(إعراب القرآن للنحاس، ١٤١/١) ، قال أبو حيان إن قراءة أهل الحجاز هي الفصحى(بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي) ، وتأتلف هذه الرؤية مع المطرد من قواعد النحويين فيما يخص حركة حروف المضارعة التي لا توجب كسر نون المضارعة –كما في الآية –وإنما من جملة الأفعال التي يكسر فيها حرف المضارعة ما كان مبدوءاً بهمزة وصل مما جاوز ثلاثة أحرف، قال سيبويه: "واعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في فعل فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء..."(سيبويه، ١١٢) ، وكذلك كل شيء من تفعلت أو تفاعلت أو تفعللت يجري هذا المجرى؛ لأنه كان عندهم في الأصل مما ينبغي أن تكون أوله ألفاً موصولة؛ لأن معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً في هذا القبيل(سيبويه، ١١٢).

فهذا الجهر يجلي تقعيداً مفاده: أن ما كان مبدوءاً بتاء زائدة معتادة صح فيه كسر حرف المضارعة، مع أن التاء غير مكسورة تشبيهاً لتلك الأفعال التي في أولها همزة وصل من حيث إنها في الأغلب تكون مطاوعة.

وليس هذا بناف قراءة كسر النون (نعبد)؛ لأنها جاءت على لغات العرب الموسومين بالفصاحة أولا، وأن المفسرين –بعد استتباع مدوناتهم –لم يتعرضوا بالطعن لهذه اللغة ثانيا، أما ثالثة الأثافي فتستقر في قول أبي حاتم السجستاني: إنه سمع حترش بن ثمال –وهو عربي فصيح –يقول في خطبته: "الحمد لله احمده واستعينه واتوكل عليه" فيكسر الألفات كلها، وعلى هذا قراءة من قرأ (وإياك نستعين)(شافية ابن الحاجب، ١٤٣) بكسر النون.

ومما يلحق بركب المتقدم ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا أَونا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ لَعَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴾[سورة السجدة، الآية ١٠]، (ضللنا) أي: ضعنا فيها بأن صرنا تراباً مخلوطاً بترابها بحيث لا نميز فيه، فهو من ضاع المتاع إذا ضاع، أو غبنا فيها بالدفن وإن لم نصر تراباً، وإليه ذهب قطرب، وأنشد قول النابغة يرثي النعمان بن المنذر:

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ١٠٥٢ ـ ١٠٦٤
ISSN: 2222-6583

فآب مُضلُّوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل(زياد بن معاوي الذبياني)

وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيص وأبو رجاء وطلحة، وابن وثاب (ضللنا) بكسر، ويقال: ضل يضل كضرب يضرب، وضل يضل كعلم يعلم، وهما بمعنى والأول اللغة المشهورة الفصيحة، وهي لغة نجد، والثاني لغة أهل العالية(شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الالوسي البغدادي).

إن الاحتكام إلى الآراء المرسلة من السابقين تدفعني –والله تعالى أعلم –إلى القول بصحة رؤية الألوسي النقدية في لغة نجد، وممن مثل هذه الآراء:

المفسرون: ويطالعنا منهم الطبري بقوله: "القراءة على فتح اللام هي الجوداء، وبها نقرأ"(محمد بن جرير الطبري،٩٦) ، وكذا الماحة أبي حيان: "فتح اللام ضللنا والمضارع يضل بكسر عين الكلمة هي اللغة الشهيرة الفصيحة"(بدر الدين الزركشي، ١٩٥).

المعجميون: يجلي على وجه الإحكام استشراف لغة نجد قول الزبيدي: "ضللت كزللت تضل وتزل، أي بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وهذه هي اللغة الفصيحة، وهي لغة نجد"(محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، ٣٤٤).

الشعراء ونتحسس هذه اللغة من قول امرئ القيس:

غَدَائِرَهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلا تَضِلُ العِقَاصُ فِي مُثَنَّى وَمُرْسَلِ(امرئ القيس)

ويتعين هذا المقصد في قول الأخطل:

كُنْتَ القَذَى فِي مَوْجِ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَذَفَ الأُتِي بِهِ فَضَلَ ضلالا(ديوان الأخطل، ص٢٠٥)

وأجلو ملحظاً آخر ينضاف –والله تعالى أعلم –إلى تلكم البواعث، يحتمله سياق الآية مرده إلى اختيار صيغة الماضي وتعيين معناها، فالآية بـــ (ضللنا) ماضياً مدعاته أن: "إنكارهم للحشر كان سابقاً صادراً منهم ومن آبائهم"(فخر الدين الرازي، ١٥٣) ، أما جهة المعنى فناسبت حالة المشركين؛ لأن مؤدها إلى الضياع –سالف الذكر –وإلى تلفهم، وتقطع أوصالهم، وذهابهم حتى لم يوجدوا"(ابن عطية الاندلسي، ٣٦٠).

بنية اسم الفعل: –الخالفة–

نلج هذا المتطلب من باب اسم الفعل (هيات) في قوله تعالى:﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[سورة المؤمنون، الآية ٣٦]، بفتح التاء على قراءة المصحف، وقرى(الزمخشري، ١٨٩):
هيهاتاً هيهاتاً، بفتحها منونتين للتنكير.

هيهات هيهات، بالضم والتنوين، وقرئ بالضم من غير تنوين.
هيهات هيهات، بالكسر من غير تنوين، وروي أنها لغة في تميم وأسد.
هيهات هيهات، بكسرها والتنوين.
هيهات هيهات بالإسكان فيهما، فمنهم من يتقي التاء ويقف عليها، ومنهم من يبدلها هاء ويقف عليها.
أيهاه، بإبدال الهمزة من الهاء الأولى، والوقف بالسكون على الهاء.
ويدفعني يقين حازم –والله تعالى أعلم –إلى القول بصحة رؤية الآلوسي القاضية بأن التعدد مؤداه لغات العرب، محتجاً بجملة أمور:

أولها: إن جل المصنفين في معاني القرآن وإعرابه وتفسيره قد نصوا على مجيء هذا التعدد على لغات العرب، ومنه قولهم –في هذه الآية –إن في هيهات عشرة لغات ذكرنا منها سبعة(بدر الدين الزركشي، ٣٧٥).

ثانيها: من المقرر عند أرباب اللغة أن في (هيهات) أكثر من أربعين لهجة، وحسبنا قول السيوطي: هيهات بمعنى بعد، حكى فيها الصنعاني ستا وثلاثين لغة هيهات وأيهات وهيهان وأيهان وهيهاه وأيهاه، وكل واحدة من هذه الستة مضمومة الآخر ومفتوحة ومكسورته منونة وغير منونة، وحكى غيره: أيهاك وأيها وهيهانا بالألف وإيهاء بالمد، فزادت على الأربعين(جلال الدين السوطي، ١٠٧).

ثالثها: نجد هذه اللهجات في مدونات النحويين بالماحة أو تصريح، ويكفي مؤونة ذلك قول الزمخشري: "هيهات بفتح التاء لغة أهل الحجاز، وبكسرها لغة أسد وتميم، ومن العرب من يضمها، وقرء بهن جميعاً ... إلخ(الزمخشري،٢٠١-٢٠٢).

رابعها: جنح بعض النحويين إلى الاتكاء على هذه اللهجات لإثبات مذهبه النحوي، ونجتزئ من قول ابن جني ما يقوي هذا الباعث: "والتاء فيها –هيهات –للتأنيث مثلها في الفوقاة والشوشاة، والوقوف عليها بالهاء، وهي مفتوحة فتحة المبنيات، ومن كسر التاء، فقال: هيهات، فإن التاء تاء جماعة التأنيث، والكسرة كالفتحة في الواحد.

خامسها: ليس بالغريب في موضوع أسماء الأفعال أن تأتي على لغات العرب كما في (هيهات)، فقد حفظت لنا المصنفات اللغوية كثيرا من اللهجات الواردة في بعض ألفاظ أسماء الأفعال سواء في حركتها أو حروفها، منها: أف، وهيت على مستوى القرآن الكريم.

سادسها: كذلك شاع في وعي المستشرقين ما يستشرف هذا المبتغى، قال بلاشير: إن هيهات لهجة شرقي الجزيرة وتميم، وأيهات لهجة الحجاز.

مجلة دجلة • المجلد ٨، العدد١ (٢٠٢٥) ص ١٠٥٢ ـ ١٠٦٤
ISSN: 2222-6583

سابعها: إن استنطاق الشعر العربي يؤذن بتحقق هذا الملحظ عند الشعراء، ومنه قول الأحوص:

تَذَكَرْتُ أَيَّامًا مَضَيْنَ مِنَ الصِّبَا وهيهات هيهاتاً إليك رجوعها(الاحوص الانصاري، ١٢٤)

وقول حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلادا حتى صارت في القفار:

يُصْبِحْنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتِ هيهات من مصبحها هيهات

هَيْهَاتِ حَجْرٌ مِنْ صُنَيْبِعَاتِ

ولعله يستقيم بعد هذا العرض أن أقدم احتراساً في غورين أثنين:

– إن رؤية الألوسي القاضية بجعل هذه اللغات بمعنى واحد وهو البعد متحققة في الآية، وهذا ما دأب عليه العلماء في شرحهم لاسم الفعل (هيهات).

– يشف التعدد اللهجي لاسم الفعل في استعمالات العرب نظماً ونثراً عن أنماط لفظية تؤدي دلالات متعينة يحكمها حال المتكلم، وارتكز في هذا المقرر على ثلاثة أمور:

١–إن الاختلاف اللهجي ينضوي في جوانب الصوت، والصرف، والتركيب، ويفضي الاستقراء والتحليل إلى الكشف عن دلالات عدة في هذه الجوانب.

٢–يؤذن استعمال العرب لأسماء الأفعال في أساليبهم الإفصاحية بالكشف "عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، فهي من حيث استعمالها قريبة الشبه بما يسمونه في اللغة الإنجليزية (Exclamation).

٣–ينبئ اختلاف العرب في نطق (هيهات) أن هذه اللفظة "ليست ظرفاً وليست ثلاثية وليست مفردة وليست جمعاً، إنما هي صوت يقوله العربي حين يستبعد شيئاً أو أمراً، وهو تعبير عن انفعاله هذا، ولذلك يختلف هذا الصوت باختلاف طبيعة هذا الانفعال ودرجته، وهذه اللغات التي ذكرها النحويون وأهل اللغة ليست إلا صورا لاختلاف هذا الصوت في تعبيره عن الانفعال حين يشتد أو يضعف".

بنية الجموع

ومما يلامس هذا الضرب ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَجَنَّتٌ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾[سورة الرعد، الآية ٤]، (صنوان) جمع صنو، وهو الفرع الذي يجمعه وآخر أصل واحد، وأصله المثل، ومنه قيل للعم صنو، وكسر الصاد في الجمع كالمفرد، وهو اللغة المشهورة، وبها قرأ الجمهور، ولغة تميم وقيس (صنوان) بالضم كذئب وذؤبان، وبذلك قرأ زيد بن

علي والسلمي، وابن مصرف، ونقله الجعبري عن حفص، وقرأ الحسن وقتادة بالفتح، وهو على ذلك اسم جمع كالسعدان لا جمع تكسير؛ لأنه ليس من أبنيته(شهاب الدين الالوسي، ١١٩).

والفيصل في هذه البنية أنها تنضوي تحت جموع التكسير التي وردت مسموعة، وخرجت عن الأقيسة المطردة، وطرأ على مفردها تغيير لفظي ظاهر.

ففي العرف الصرفي يطر بناء (فعلان) في اسم على (فُعال) كغراب و (فُعَل) كجُرَذ و (فعل) كعود و(فعل) كنار(تمام حسن، ٦٩).

وخرجت عن تلكم الأقيسة ألفاظ جمعت على (فعلان) فقد سمع من (فعل) غير واوي العين و (فعال) كقولهم: شيث وشيثان، وضرب وضربان، وفتى وفتيان، وغزال وغزلان(ابن جني، ١٠١-١٠٢).

"فجعلوا البناء على فعلان وقل فيه الفعال؛ لأنهم الزموه فعلان فجعلوه بدلاً من فعال"(سيبوية، ٥٩٠). ومما جاء على (فعل) وجمع على (فعلان) على غير القياس: صنو وصنوان، وقنو وقنوان(ابن السراج، ٤٢٥).

ويمتد الافتراق عن التقعيد الصرفي، والاكتفاء بالمسموع إلى النظير (صنوان) على (فعلان) بلغة تميم وقيس، فالمستحكم عند أهل هذا الدرس أن بناء (فعلان) يكثر في الأسماء على وزن: (فعل) كظهر – ظهران، و (فعل) صحيح العين وليست عينه ولامه من جنس واحد كذكر –ذكران و (فعيل) كغدير غدران، ويقل في جمع (فاعل) كراكب –ركبان(د. عبده الراجحي، ١٩٥-١٩٦).

ومما يسترعي الخاطر ويوافق مقصد الكلام أن صيغتي (فعلان) و (فعلان) قائمتان في التنزيل الحكيم، فعلى (فعلان) وردت سبعة جموع عمادها:

(إخوان)(سورة البقرة، ٢٢٠) ، و(ولدان)(سورة النساء، ٧٥) و(قنوان)(سورة الأنعام، الآية ٩٩) ، و(حيتان)(سورة الأعراف، الآية ١٦٣) ، و(فتيان)(سورة يوسف، الآية ٦٢) ، و(صنوان)(سورة الرعد، الآية ٤) ، و(غلمان)(سورة الطور، الآية ٢٤).

وعلى (فعلان) وردت خمسة جموع مفادها: (ركبان)(سورة البقرة، الآية ٢٣٩) ، و(رهبان)(سورة المائدة، الآية ٨٢) ، و(حسبان)(سورة الكهف، الآية ٤٠) ، و (عُميان) ، و(ذكران)(سورة الشعراء، الآية ١٦٥).

فالصيغتان ليستا بمنأى عن الجموع الواردة في القرآن الكريم.

وأرقب في مختتم هذا الملحظ الماحة ناجعة من المبرد تكشف عن تعدد الجموع للمفرد الواحد، وتعضد ورود هاتين الصفتين، وذلك

لأنها أسماء فيقع الاختلاف في جمعها كالاختلاف في إفرادها (المقتضب، ٢٠١). في حين يتلمس بعض الدارسين مسوغاً في مجيء صنو على صنوان بأن العرب قد غلبت فيهما بناء المثنى على بناء الجمع القياسي، وهم يغلبون أصلاً على فرع عارض الضرب من التخفيف، مستحضرين ظاهرة التغليب التي عرفها العرب، وأجروها في كلامهم شعره ونثره، "فقد أدركوا وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، بحسهم اللغوي السليم أن الإيجاز والتعريض أو التلميح أبلغ من الإطناب والتصريح... فغلبوا الأصل والأشرف والأنبه والأخف"، مسترجعين نظرهم إلى مقولة الرضي بأن "المراد بالتغليب التخفيف فيختار ما هو أبلغ في الخفة"، والأكثر دوراناً على ألسنة الناس.

على أن تلكم المسوغات تبقى في دائرة الاجتهاد التي لا تصل إلى سكينة اليقين، إلا أنها من المحاسن التي تلقى في النفس قبولاً، ومن الروافد المعززة للدرس الصرفي، معرجاً على أن الإمكانية اللغوية عند العرب في صوغ الجموع من المفرد الواحد تتيح مرونة في استعمال اللغة، وتلحب –توضح السبيل أمام الدارسين لتفسير الظواهر التصريفية.

خاتمة:

ومن هنا نجد إن لاختلاف اللهجات دوراً في التقعيد الصرفي من خلال تعدد الأوجه الصرفية للظاهرة الواحدة، وهذه الاختلافات التي قد تطرأ على وزن الكلمة من خلال تغير الحركات أو الإبدال أو التشديد، أو على بنية الفعل، أو على بنية الجمع ويمكن أن نتوصل إلى النتائج التالية:

- إنّ الاختلاف في القاعدة الصرفية يكون من خلال وجود أكثر من احتمال لشكل الكلمة ووزنها بحسب اختلاف القراءات القرآنية
- إنّ البناء الصرفي للكلمة العربية يسهم في التوجيه الدلالي بحسب دلالة الوزن وارتباطه بما يليه
- إنّ الاختلاف في بنية الأفعال تكون من خلال الاختلاف في البناء الصرفي من طريق الإبدال أو القلب أو الكسر أو غيرها من الظواهر الصرفية
- إن الاختلاف في بنية الجموع يكون من طريق الاختلاف في شكل الجمع بين التصغير والتضخيم وغيرها.

المصادر:

١. إبراهيم أنيس : مستقبل اللغة العربية المشتركة ،القاهرة ١٩٦٠ م
٢. ابن هشام الانصاري (ت ٣٦١م)، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٣. أبو البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ)، الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين، مطبعة دار احياء التراث العربي، مصر ، ط٤، ١٩٦١م.
٤. أبو جعفر النحّاس (ت ٣٣٨هـ)، اعراب القرآن، وضع حواشيه، عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.
٥. أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، ت : مصطفى الشويمي ،بيروت ، لبنان ، ١٣٨٢هـ .
٦. د. هاشم الطعان، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون.
٧. الدكتور أحمد علم الدين الجندي، اللهجات في التراث، دار العلمية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٧٨م.
٨. رمضان عبدالتواب : المدخل على علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ
٩. سيبويه (ت ١٨٠هـ) ، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار غريب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
١٠. السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وضبط محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، دار الفكر .
١١. شرح الكافية في النحو، (١٧٢/٢).
١٢. عبدالغفار حامد هلال : اللهجات العربية نشأة وتطورا ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ
١٣. علي عبدا لواحد وافي : علم اللغة ،القاهرة ،١٩٦٢م.
١٤. فندريس : اللغة ، تعريب عبدالحميد الدواخلي ،محمد القصّاص ،١٩٥٠م
١٥. م م لويس : اللغة في المجتمع ، ترجمة الدكتور تمام حسَّان ، عالم الكتب ،ط ١٤٢٣هـ
١٦. مالك مسلماني : هادي العلوي معجمياً ، بغداد ، ١٩٣٢م ــ دمشق ٦ / أيلول ١٩٩٨م .
١٧. محمد أسعد النادي : فقه اللغة مناهله ومسائله ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ٢٠٠٩م.
١٨. منذر ابراهيم الحلي، اللهجات العربية في كتب اعراب القرآن: (اطروحة دكتوراه)، ٢٠٠٦م، باشراف الدكتور صالح هادي القرشي، الجامعة المستنصرية
١٩. النظام النحوي في القرآن الكريم، ودلائل النظام النحوي، (٧٦-٧٧).
٢٠. ــ ابن جني : أبو الفتح عثمان ، المحتسب ، ت . علي النجدي ناصف وآخرين ١٣٨٦هـ .
٢١. ــ الزمخشري : جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار الباز للنشر والتوزيع